أسلوب التنزيل
في نصرة الحبيب ﷺ
من خلال الآيات المدنية

تأليف
الدكتور: إبراهيم بن محمد الدومري
عضو هيئة التدريس
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستيعنه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد ..

إن لكل نبي مرسل من الله معجزة، يؤيده بها، وتكون آية على صدقه، وتكون مما يعرفه القوم وألفوه.

والقرآن الكريم هو معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخالدة التي تحدى بها العرب والعجم، فلم يستطيعوا معارضته أو المجيء بمثله.

ومع كونه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تضمن الدفاع عنه، ورد كل التُهم والأباطيل التي رماه بها كفار قريش فما من تهمة رمي بها إلا ورد القرآن عليها وأبطل تلك الدعوى، وبين حقيقته صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من ربه صادق فيما أخبر.

وكان شرفاً لي أن يكون هذا البحث في منهج القرآن في الدفاع عن شخصية الرسول ﷺ، وكيف رد القرآن على المشركين في مكة كل افتراءاتهم، وكيف فضح الله المنافقين واليهود في المدينة، وكيف أدب الله المؤمنين مع نبيهم وعلمهم كيف يتعاملون معه.

وكان مما دفعني للكتابة في هذا البحث ما له من أهمية عظيمة؛ إذ هو يناقش ويدافع عن شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفند أباطيل المفترين مستخلصاً ذلك من القرآن الكريم معجزته عليه الصلاة والسلام وسنة النبوية الشريفة، مستعيناً بكتب التفسير والسيرة وغيرها.

وأخيراً أرجو أن يكون هذا البحث معيناً للسائرين على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته ليكون نبراساً ينير لهم الطريق.

وقد عزوت الآيات التي اشتمل عليها البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.

أما الأحاديث فقد خرجت ما ورد من أحاديث، ذاكراً اسم الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له، ثم

التمهيد ويشتمل على مطلبين:
المطلب الأول: الحكمة من إرسال الرسل .
المطلب الثاني: الحكمة من كون الرسول من جنس المرسل إليهم.

المبحث الأول: مكائد المنافقين للرسول صلى الله عليه وسلم وفضح القرآن لها، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: غزوة الخندق ومحاولة المنافقين زعزعة الصف الإسلامي.
المطلب الثاني: حادثة الافك وترويج المنافقين لها.
المطلب الثالث: رفض التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
المطلب الرابع: محاولة المنافقين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك.
المطلب الخامس: وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أُذن.
المطلب السادس: وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالذلة وأنهم هم الأعزة.
المطلب السابع: قولهم بأنه لا يعدل في قسم الصدقات.
المطلب الثامن: فرحهم لمصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزنهم لظفره ونصره.
المطلب التاسع: تكذيب النبي عليه الصلاة والسلام في الخفاء ونفي ذلك.

المبحث الثاني: اليهود ومكائدهم للرسول صلى الله عليه وسلم.
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دعوة القرآن اليهود للإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم .
المطلب الثاني: تآمر اليهود مع قبائل العرب وتحزيب الأحزاب ضد الرسول عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثالث: طعن اليهود في صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام.
المطلب الرابع: طلب اليهود بعض الآيات على صدقه وأنه مرسل.

المبحث الثالث: نهي القرآن المؤمنين عن إيذاء رسول الله عليه الصلاة والسلام والأمر بالتزام الأدب معه، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: التأدب عند دخول بيوت النبي عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثاني: التأدب مع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم.
المطلب الثالث: حرمة نكاح أزواج رسول الله عليه الصلاة والسلام من بعده.
المطلب الرابع: معاتبة القرآن لأزواج الرسول عليه الصلاة والسلام حين تظاهرن

عليه.
المطلب الخامس: حث نسائه على التحلي ببعض الآداب.
المطلب السادس: النهي عن رفع الصوت عند رسول الله عليه الصلاة والسلام أو الجهر له بالقول.
المطلب السابع: أمر القرآن المؤمنين بتقديم الصدقة عند مناجاة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ثم الخاتمة وأهم نتائج البحث، ثم الفهارس.

التمهيد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الحكمة من إرسال الرسل عامة.
المطلب الثاني: الحكمة من كون الرسول من جنس المرسل إليهم.

المطلب الأول:
الحكمة من إرسال الرسل

خلق الله الخلق لحكمة عظيمة، وغاية جليلة بينها سبحانه وتعالى في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦]، تلك الحكمة العظيمة هي عبادة الله تعالى وتوحيده والقيام بحقه سبحانه، قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون: ١١٥]، ولا تتحقق تلك الغاية العظيمة إلا بإرسال الرسل لتُبَيِّن للخلق الطريقة الصحيحة والوجهة السليمة التي يجب أن يسيروا عليها في عبادتهم لله تعالى؛ إذ لو تُرك الأمر إليهم لذهب كلٌ يعبد ما يريد على ما يريد فاقتضى الأمر أن يرسل الله إلى الخلق رسلاً لتبين لهم الطريق الصحيح الموصل إليه سبحانه وتعالى، وأنزل سبحانه على أولئك الرسل كتباً توضح لهم الشرائع التي شرعها لهم سبحانه بما يصلح أحولهم، وكل رسول من أولئك الرسل كانت أول مهمته الدعوة إلى توحيد الله تعالى قبل كل شيء؛ إذ هو الأساس، قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) [النحل: ٣٦]، وكما قص سبحانه قصص الأنبياء وكل نبي يقول لقومه (اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [هود: ٦١].

وفي إرسال الرسل تلطف من الله بخلقه ورحمة بهم، كما وصف الله بذلك عيسى عليه السلام فقال تعالى (وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا) [مريم: ٢١].

ووصف خاتم الرسل بقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧]، ثم إن كل رسول يبعث إلى قومه بلسانهم قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم: ٤]، وبهذا تظهر حاجة البشر إلى إرسال الرسل ليكونوا قدوة لهم وليكونوا رحمة من الله.

كذلك في إرسال الرسل قطع للطريق على المعاندين وأهل الأعذار فلا تبقى لهم حجة على الله، فالله أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم بلغتهم يبلغوهم شرع الله ويحذروهم وينذروهم، قال تعالى: (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) [النساء: ١٦٥].

قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: "أي يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعذاب والعقاب وقوله (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ... الآية، أي: أنه تعالى أنزل كتبه

وأرسل رسله بالبشارة والنذارة وبين ما يحبه وما يرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمتعذر عذر قال تعالى (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى) [طه: ١٣٤][1]، وبهذا يظهر كمال عدله سبحانه وأنه لا يعذب إلا بذنب وبعد أن يبين الحق فمن عصى فقد استحق العقاب قال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) [الإسراء: ١٥].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤٧٥/٢.

المطلب الثاني :
الحكمة من كون الرسول من جنس المرسل إليهم

إن القدوة التي يجب أن يقتدي بها المقتدي لابد أن تكون فيما يطيقه؛ إذ لو كان لا يستطاع الاقتداء به لما تحققت الحكمة من القدوة ولذا كانت حكمة الله تعالى من كون رسله من جنس المرسل إليهم، قال تعالى: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً{٩٤} قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً [الإسراء: ٩٤-٩٥].

ولو كان المرسل إليهم ملائكة لأرسل الله إليهم ملكاً من جنسهم كما في الآية السابقة، كما أن في كون الرسول من جنس المرسل إليهم قطع للطريق على المنكرين فلا يكون لهم طريق إلى الطعن في الرسل.

وهي أيضاً منة من الله تعالى أن جعل الرسول من جنسهم وبشراً مثلهم يتكلم بلسانهم، قال تعالى:(لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى:(لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: ١٢٨].

قال في البحر المحيط: "استبعدوا أن يبعث الله تعالى من البشر رسولاً ، كما استبعدت قريش ، فقالوا على سبيل الاستغراب : { أبشر يهدوننا } ، وذلك أنهم يقولون : نحن متساوون في البشرية ، فأنى يكون لهؤلاء تمييز علينا بحيث يصيرون هداة لنا؟"(٢)

ولما احتج المشركون على رسول الله وطلبوا أن يكون الرسول غير بشر رد القرآن عليهم وبين في غير موضع أن تلك الحجة لبست جديدة، بل هي حجة الأقوام السابقين، قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [التغابن: ٦].

ودافع قريش إلى أن يحتجوا بهذه الحجة أمرين:

الأول: جهلهم بالحكمة من خلق الإنسان وقيمة ذلك الإنسان عند الله تعالى.

فهم لا يعرفون عن ذلك الإنسان إلا أنه جسد مكون من شهوات ونزوات وأعضاء، ولم يعلموا مكانة ذلك الإنسان عند الله الذي خلقه بيده وأسجد له ملائكته، وفي نظر أولئك القوم فإن ذلك الإنسان قاصر لا يرقى إلى مرتبة أن

(٢) انظر: البحر المحيط ٢٨٣/١٠.

يكون سفيراً بين الملأ الأعلى والأرض فهو أحقر من ذلك.

الثاني: جهلهم بسنة الله تعالى وحكمته من إرسال الرسل:

فإن الرسل هداية من الله تعالى لخلقه يبينون لهم شريعته ويقتدون بهم ، يرشدون ضالهم ويهدون حائرهم، يبينون لهم أهم عمل في هذه الحياة وهو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة؛ ولهذا بعث الله لكل قوم من يدلهم إلى الحق ويبصرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى.

المبحث الأول: مكائد المنافقين للرسول صلى الله عليه وسلم وفضح القرآن لها.

المبحث الثاني: اليهود ومكائدهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: أمر المؤمنين بالتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: مكائد المنافقين للرسول صلى الله عليه وسلم وفضح القرآن لها.

ويتكون من تسعة مباحث.

المطلب الأول: غزوة الخندق ومحاولة المنافقين زعزعة صفوف المسلمين.

المطلب الثاني: حادثة الافك وترويج المنافقين لها.

المطلب الثالث: رفض التحاكم إلى رسول اله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: محاولة المنافقين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المطلب الخامس: وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أُذن.

المطلب السادس: وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالذلة وأنهم هم الأعزة.

المطلب السابع: قولهم بأنه لا يعدل في قَسْمِ الصدقات.

المطلب الثامن: فرحهم لمصاب رسول الله وحزنهم لظفره ونصره.

المطلب التاسع: تكذيب النبي عليه الصلاة والسلام في الخفاء ونفي ذلك.

المطلب الأول:
غزوة الخندق ومحاولة المنافقين زعزعة صفوف المسلمين

وقعت غزوة الخندق في شوال سنة خمس للهجرة على الصحيح المشهور فقد اجتمعت قبائل العرب ومعهم يهود المدينة وتعاهدوا وتعاقدوا على استئصال المؤمنين، وخرجت العرب لقتال النبي **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه في فألهم الله رسول الله صلى الله عليه وسلم حفر الخندق الذي أشار به سلمان الفارسي **رضي الله عنه** فحفره المسلمون وفيه وقعت آيات عظيمة من آيات نبوته **صلى الله عليه وسلم**. (٣)

أما المنافقون فقد قص الله خبرهم في هذه الغزوة وفح أمرهم فقال تعالى وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً{١٢} وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً{١٣} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً{١٤} وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً{١٥} [الأحزاب: ١٢-١٥].

فقد كان المنافقون يرجفون في المدينة ويحاولون تمزيق صفوف المسلمين وتفريق كلمتهم، فكانوا يقولون: إن محمداً يعدنا كنوز كسرى وقيصر وإن أحدنا لا يأمن على نفسه أن يخرج إلى الغائط فأنزل فيهم تلك الآيات السابقة، ثم إنهم أرادوا صد الناس وثنيهم عن المرابطة والبقاء في وجه العدو والعودة إلى المنازل فأظهر الله أمرهم فقال: (وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) [الأحزاب: ١٣]، أي ارجعوا إلى بيوتكم وأهلكم، وثماركم وظلالكم، وقال عنهم: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً [الأحزاب: ١٨]، ثم إنهم أرادوا الاستئذان من النبي **صلى الله عليه وسلم** والرجوع إلى بيوتهم بحجة أنها غير آمنة وهم يخافون عليها ففضح الله أمرهم فقال تعالى: (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً{١٣} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً){١٤} [الأحزاب :١٣-١٤]، أي: ليس الأمر

(٣) انظر: عيون الأثر ٣٣/٢،السيرة النبوية لابن كثير ١٨٠/٣،الروض الأنف للسهيلي ٤١٥/٣

كما يزعمون من أن بيوتهم غير آمنة، بل يضمرون في أنفسهم الجبن والخور، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم وذلك أنه لو أحاط بهم العدو وسئلوا الكفر لكفروا سريعاً ولم يترددوا في ذلك طرفة عين.

هكذا هم المنافقون في غزوة الأحزاب، كما صورهم القرآن وفضح أمرهم، فهم أداة للعدو في داخل صفوف المسلمين، يريدون الهزيمة لهم، ويبطنون لهم كل الحقد والكراهية ولذلك حاولوا بث الخوف في نفوس المسلمين عندما تجمعت العرب، وحاولوا زعزعة إيمانهم، وذلك بالتشكيك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يخبرهم به ويبشرهم به من النصر والتمكين(٤).

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣٥٤/٦-٣٥٦، زاد المعاد لابن القيم ٢٦٩/٣-٢٧٥، سيرة ابن هشام ١٦٥/٣-١٨٣، البداية والنهاية لابن كثير ٩٤/٤-١١٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٨٣/٣-٤٨٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٨/١٤-١٥٥.

المطلب الثاني:
حادثة الإفك وترويج المنافقين لها

هذه الحادثة التي أنزل الله فيها عشر آيات في صدر سورة النور، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ{١١} لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ{١٢} لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ){١٣} [النور: ١١-١٣].

فبرأ عائشة الصديقة زوج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مما رميت به من الفاحشة.

وملخص تلك القصة أن عائشة **رضي الله عنها** كانت مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهو في سفره في غزوة بني المصطلق، فلما انتهى من غزوته وأقفل راجعاً نزل الجيش، وذهبت عائشة لقضاء حاجتها، ثم رجعت فالتمست عقداً لها فلم تجده، فرجعت تبحث عنه، وفي هذا الوقت سار الجيش، فلما رجعت لم تجد احداً، فنامت على أنهم سيفقدونها ويرجعون إليها، وكان صفوان بن المعطل **رضي الله عنه** متأخراً عن الجيش يعين المنقطع، فلما رآها عرفها فاسترجع وقال: ظعينة رسول الله! ثم قَرَّبَ لها بعيره وحملها، فلما رأى الناس ذلك تكلموا بما أرادوا، واستغل ذلك رأس النفاق عبدالله بن أبيّ بن سلول فقال: "والله ما نجت منه ولا نجا منها" وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها، فلما رجعت مرضت عائشة مرضاً شديداً، ومكثت قريباً من شهر والناس يتكلمون بها وهي لا تعلم من ذلك بشيء، ثم علمت بعد ذلك فازداد مرضها وتقول: "فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي، وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟ قالت: أي بنية خفضي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها، لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها. وأصبحت فتنة عظيمة، واستشار رسول الله علياً **رضي الله عنه** فقال: يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية فإنها ستصدقك فقالت الجارية: والله ما أعلم إلا خيراً منها، ما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

واستشار أسامة بن زيد **رضي الله عنه** فأثنى عليها خيراً وقال: أهلك يا رسول الله

ولا نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل، ثم دخل عليها رسول الله وهي تبكي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، وإن كنت قد قارفت سوءً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده .. ثم قالت: فأنزل الله براءتي، وقال رسول الله: "أبشري يا عائشة، ونزلت العشر الآيات من سورة النور"(٥).

وهذه الحادثة لها وقع عظيم فقد كان المنافقون يعلمون مدى تأثيرها؛ لذا فقد استغلوها استغلالاً سيئاً يخدم مصالحهم، لأنها تتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام، وليس به فقط بل هي طعن في عرضه وأحب الناس إليه، وهم يعلمون أيضاً أن ذلك قد يشكك الناس في صدقه ونبوته، وبالتالي في دينه؛ ولذلك شاع هذا الخبر وأُزيد فيه وأصبح المنافقون يتناقلونه فيما بينهم ويروجون له حتى أصاب النبي عليه الصلاة والسلام ألماً وضيقاً شديداً.

ولعل من أهم ما ترتب عليه الترويج لهذا الخبر الكاذب بث روح الخلاف بين المسلمين، وإحداث بلبلة واضطراب من شأنه أن يزعزع قوة الصف الإسلامي وتماسكه، لعل هذا يظهر جلياً عندما بلغ الأمر شدته على رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فقام على المنبر يخطب وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، لقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي) فقال سعد بن معاذ –سيد الأوس– **رضي الله عنه** "أنا أعذرك فيه: إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك"، فقال سعد بن عبادة –سيد الخزرج– **رضي الله عنه** "كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فرد عليه أسيد بن الحضير **رضي الله عنه** – ابن عم سعد بن معاذ– كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا ..) فهذا ما كان يهدف له المنافقون ويريدون تحقيقه، وهو

---

(٥) انظر القصة بأكملها في صحيح البخاري (كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ﴾ حديث رقم ٤٧٥٠، كتاب المغازي، باب حديث الإفك رقم ٤١٤١، ومسلم كتاب التوبة، باب حديث الإفك ٢١٢٩/٤)، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٦١/٤، وما بعدها، وفي تفسيره ٢٧٩/٣، وما بعدها، سيرة ابن هشام ٢٤٣/٣، وما بعدها.

تفريق الصفوف وزرع الفتنة بينهم .

ولكن الله تعالى أراد من هذه الحادثة خيراً كما قال تعالى: (لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً) [النور: ١١]، قال ابن كثير: "لا تحسبوه شراً لكم يا آل أبي بكر، بل هو خيراً لكم .. في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين **رضي الله عنها** حيث أنزل برائتها في القرآن العظيم.."(٦) .

قال القرطبي في تفسيره: ".. فأما البلاء النازل على الأولياء فهو خير، لأن ضرره من الألم قليل في الدنيا وخيره هو الثواب الكثير في الآخرة، فنبه الله تعالى عائشة وأهلها، وصفوان والخطاب لهم في قوله: (لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) لرجحان النفع والخير على جانب الشر"(٧).

إن ما سبق كله خير؛ فهو يكشف عن الكائدين للإسلام في شخص رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأهل بيته ويكشف أيضاً للمسلمين تحريم القذف وخطره على أمة الإسلام.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٣/٣).
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٨/١٢).

المطلب الثالث:
رفض التحاكم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام

إن التحاكم إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في حياته وإلى سنته بعد موته أمر واجب ومن أنكر ذلك فهو كافر، وهي صفة من صفات النفاق، ولذا فقد بين الله تعالى أن من صفات المنافقين عدم التحاكم إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** والتحاكم إلى غيرهبحجة الشك، والخوف من الظلم من رسول الله – حاشاه ذلك– وكلا الأمرين كفر صريح قال تعالى: وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ{٤٨} وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ{٤٩} أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ{٥٠} [النور: ٤٨-٥٠].

فهؤلاء المنافقون آمنت ألسنتهم وكفرت قلوبهم وقد ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الآية أن رجلاً من المنافقين اسمه (بشر) كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وكان المنافق مبطلاً فأبى من ذلك وقال: "إن محمداً يحيف علينا فلنحكم كعب بن الأشرف فنزلت الآية فيه"(٨)، وسواء نزلت فيه أو في غيره فهي صفة في أهل النفاق متأصلة فيهم لا يحبون النبي **صلى الله عليه وسلم** ولا يرضون حكمه كما قال تعالى: وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ [النور: ٤٨].

يقول الإمام الطبري: "وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله إذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله"(٩).

وكما قال تعالى عنهم في سورة النساء أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً{٦٠} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً{٦١} [النساء: ٦٠-٦١]. وهذه الآية أيضاً في مثل تلك القصة، فكان سبب نزولها أن رجلاً من المنافقين ورجلاً من اليهود تخاصما فدعا اليهودي المنافق ليتحاكما إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** لأنه لا يأخذ الرشوة، ودعا المنافق اليهودي إلى حاكمهم لأنه

(٨) القرطبي ٢٩٣/١٢، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٢٧.
(٩) جامع البيان ٣٤/٩.

يأخذ الرشوة، فلما اختلفا اجتمعا على أن يحكما كاهناً، فنزلت هذه الآية[١٠]، قال ابن كثير: "والآية أعم من ذلك كله فإنها ذم لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكمهم إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا"[١١]، وهم يجاهرون بذلك ويستكبرون ويصدون عن التحاكم إلى الله ورسوله، ثم وصف سبحانه وتعالى حالهم وأنهم إذا نزلت بهم الضائقة فإنه يلجئون إلى رسول الله ويعرفون طريقه فقال تعالى: فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً [النساء: ٦٢].

وهؤلاء المنافقون نفى الله تعالى عنهم الإيمان ما لم يرجعوا عما هم فيه ويحكموا الله ورسوله في أمورهم وينقادوا إلى ذلك ظاهراً وباطناً وإلا لم يكونوا مؤمنين.

(١٠) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١١٩/٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٤٣/١، أسباب النزول للواحدي ١٦١.
(١١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٣١/١.

المطلب الرابع:
محاولة المنافقين قتل الرسول صلى الله عليه وسلم

وقعت هذه المحاولة في غزوة تبوك، والقصة كما رواها ابن كثير في البداية والنهاية عن حذيفة بن اليمان **رضي الله عنه** قال: "كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أقود به، وعمار يسوق الناقة –أو أنا أسوق الناقة وعمار يقود– حتى إذا كنا بالعقبة إذا بإثني عشر رجلاً قد اعترضوا فيها، قال: فأنبهت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فصرخ فولوا مدبرين فقال لنا رسول الله هل عرفتم القوم؟ قلنا: لا يا رسول الله، قد كانوا متلثمين، ولكنا قد عرفنا الركاب، قال هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا، قال: أرادوا ان يزحموا رسول الله في العقبة فيلقوه منها، قلنا يا رسول الله: أولا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال: لا، اكره أن يتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل لقومه حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم، ثم قال: اللهم أرمهم بالدبيلة، قلنا يا رسول الله: وما الدبيلة؟ قال: هي شهاب من نار تقع على نباط قلب أحدهم فيهلك"(١٢).

ثم قال في تفسيره: "يستشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال أنشدكم باله كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك فقال كنا نخبرهم أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا وييوم يقوم الأشهاد"(١٣).

(١٢) البداية والنهاية ٥/١٨-١٩، وأشار إليها ابن القيم في زاد المعاد ٣/٥٤٥.
(١٣) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٧/١٢٥).

المطلب الخامس:
وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أذن

أورد الواحدي في أسباب النزول عن محمد بن إسحاق أن قوله تعالى: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ) [التوبة: ٦١]، نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان رجلاً أدلماً أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة، وهو الذي قال فيه النبي **صلى الله عليه وسلم**: (من أراد أن ينظر الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث) وكان ينم حديث النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى المنافقين فقيل: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن، من حدثه شيئاً صدقه، نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، فأنزل هذه الآية"(١٤). "والأذن هي الجارحة ويستعار لمن كثر استماعه وقوله لما يسمع قال تعالى: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ) (التوبة:٦١) أي: استماعه لما يعود بخير لكم"(١٥).

روي عن الحسن البصري ومجاهد أنهما تأولا أنهم أرادوا بقولهم (هو أذن) أي: يسمع منا معاذيرنا وتنصلنا ويقبله ، أي فنحن لا نبالي عن أذاه ولا الوقوع فيه إذ هو سماع لكل ما يقال من اعتذار ونحوه ، فهذا تنقص بقلة الحزامة والانخداع ، وروي عن ابن عباس وجماعة معه أنهم أرادوا بقوله { هو أذن } أي يسمع كل ما ينقل إليه عنا ويصغي إليه ويقبله ، فهذا تشكٍّ منه ووصف بأنه يسوغ عنده الأباطيل والنمائم (١٦)

فرد الله عليهم بقوله: قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [التوبة: ٦١].

قال ابن كثير في تفسيره: هو أُذن خير يعرف الصادق من الكاذب (يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) أي: ويصدق المؤمنين (وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ) وهو حجة على الكافرين ولهذا قال (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١٧).

---

(١٤) انظر: سيرة ابن هشام ١٩٤/٤، أسباب النزول للواحدي ٢٤٩، زاد المسير لابن الجوزي ٤٦٠/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٢/٨.
(١٥) مفردات الراغب ص ٧٠، مادة "أذن"، زاد المسير لابن الجوزي ٤٦١/٣.
(١٦) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥٢/٣
(١٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٠/٢.

المطلب السادس:
وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالذِّلة وأنهم هم الأعزة

هذا الأمر وقع في غزوة بني المصطلق فقد أورد ابن كثير في تفسيره عن ابن إسحاق قال: ".. فبينا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري وكان أجيراً لعمر بن الخطاب، وسنان بن وبر؛ فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد بن أرقم، ونفر من الأنصار عند عبدالله بن أبيّ، فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم فتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها زيد بن أرقم فذهب بها إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فأخبره الخبر فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه، قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: فكيف إذا تحدث الناس يا عمر، محمد يقتل أصحابه، لا، ولكن ناد يا عمر الرحيل، فلما بلغ عبدالله بن أبيّ أن ذلك قد بلغ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أتاه فاعتذر إليه فحلف بالله ما قال، ما قال عليه بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقال عسى يا رسول الله أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل، وراح رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه أسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال: والله لقد بلغك ما قال صاحبك ابن أبيّ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل، قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل، ثم قال: أرفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكاً"(١٨).

ثم سار رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فأنزل الله عليه سورة المنافقون في ابن أبيّ وأمثاله، فلما نزلت أخذ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بأذن زيد بن أرقم ثم

(١٨) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب تفسير سورة المنافقون، حديث ٤٩٠٠ وما بعده، وفي كتاب المنافقين، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية رقم ٣٥١٩ عن جابر)، وانظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤-٤٧٥، وسيرة ابن هشام ٣/٢٣٦-٢٣٧، وزاد المعاد لابن القيم ٣/٢٦٨.

قال: (هذا الذي أوفى الله بأذنه)[١٩].

قال الواحدي في أسباب النزول: "وكان عبدالله بن أبيّ بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاء ابنه عبدالله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء ابن أبيّ ليدخلها قال ابنه: ورائك، قال: مالك؟ ويلك. قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ولتعلم اليوم من الأعز ومن الأذل، فشكا ابن أبيّ إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ما صنع ابنه، فأرسل إليه رسول الله أن خل عنه حتى يدخل، فقال ابنه: أما إذا جاء أمر النبي **صلى الله عليه وسلم** فنعم، فدخل فلما نزلت سورة المنافقون وبان كذبه. قيل: له يا أبا حباب إنه قد نزلت فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه فذلك قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) [المنافقون: ٥].

(١٩) انظر: سيرة ابن هشام ٢٣٨/٣.

المطلب السابع:
قولهم بأنه لا يعدل في قسم الصدقات

كان هذا التجني على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن آمنت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، ولم يوقنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الظلم والخطأ؛ وكيف يكون منه ذلك وهو من جاء بشريعة العدل وإحقاق الحق في جنب الله تعالى أولاً ثم مع الناس أياً كانوا.

وقع هذا الاتهام لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قسم الصدقات فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري **رضي الله عنه** قال: بينا النبي **صلى الله عليه وسلم** يقسم جاء عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قُذَذِهِ فلا يوجد فيه شيء، ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه –أو قال ثدييه– مثل ثدي المرأة، أو قال مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي **صلى الله عليه وسلم** وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه جيء بالرجال على النعت الذي نعته النبي **صلى الله عليه وسلم** قال فنزلت فيه قوله تعالى وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ [التوبة: ٥٨][٢٠].

فمن صفات المنافقين حب النفس وذلك أنهم إذا منعوا من الصدقة سخطوا وإن أعطوا منها رضوا، وهم يستغلون كل فرصة ليدخلوا من خلالها فيشككوا المؤمنين في صدق نبيهم ومن ذلك ما بيّن الله هنا أنه لا يعدل بين أصحابه في الغنيمة.

وهذه الحادثة تبين بجلاء أن أهل النفاق طلاب دنيا وليسوا طلاب دين ؛فالدنيا عندهم مقدمة على الدين فإن جاء المال، والجاه، والمنصب، والشرف فهو المطلب والبغية وعند ذلك يرضون ويتظاهرون بالإيمان وحب المؤمنين، ووجد أنه دين خير؛ وإن لم ير ما يريد من دنيا ومال وجاه سخط على الدين وأهله وأنه دين سوء ليس

(٢٠) فتح الباري، كتاب الاستتابة المرقين، باب من ترك قتال الخوارج للتآلف لئلا ينفر الناس عنه رقم ٦٩٣٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتال الخوارج، وابن هشام ١٣٦/٤، وابن كثير في تفسيره ٣٧٨/٢، والواحدي في أسباب النزول ٢٤٨.

فيه إلا الفقر والبلاء ، والقِلة والحاجة، وهذا كما وصف الله تعالى في آية أخرى بقوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) [الحج:١١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح، فإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء".

وقال المفسرون: نزلت في أعراب كانوا يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون، فإن نالوا رخاء أقاموا، وإن نالتهم شدة ارتدوا .[٢١]

(٢١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٢

المطلب الثامن:
فرحهم لمصاب رسول الله وحزنهم لظفره ونصره

هذه الصفة من صفات المنافقين التي ذكرها القرآن ووصفهم بها وبيّن فيها خورهم وجبنهم وكرههم لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه وفرحهم إذا أصيبوا بمصيبة، وذلك أنهم كانوا يتخلفونن عن الجهاد فإذا أصاب المسلمين مصيبة من قتل أو غلبة عدو –لحكمة يريدها الله– قالوا إن ذلك من نعم الله علينا إذ لم نحضر هذه الواقعة وفرحوا بذلك فقال تعالى عنهم: فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً [النساء: ٧٢]، وقال عنهم أيضاً: إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ [التوبة: ٥٠].

وفي المقابل إذا حصل لكم نصر أو غنيمة تمنوا أنهم كانوا معكم ليضرب لهم بسهم، قال تعالى: وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً [النساء: ٧٣]، ومع هذا فإن ذلك النصر والظفر على الأعداء يسؤهم ويحزنهم لأنهم لا يريدون ذلك للمؤمنين بل يريدون لهم الهزيمة، فهذه هي صفات المنافقين.

يقول ابن كثير عن قوله تعالى (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا) . [آل عمران: ١٢٠] قال: "وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب الملمين سنة أي جدب أو أديل عليهم الأعداء لما لله تعالى في ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد، فرح المنافقون بذلك"(٢٢).

لكن الله تعالى قد أرشد عباده وبيّن لهم ما يدفعون به أذى المنافقين وذلك يكون بلزوم الصبر والتقوى فإن ذلك مبطل كيدهم، قال تعالى: وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ [آل عمران: ١٢٠].

هذه الآيات بينت الحقيقة التي عليها المنافقون فهم يودون ويفرحون حين تحل بالمسلمين المصائب والكوارث؛ كما وقع في غزوة الأحزاب، أو قصة الإفك، ولم يفطنوا أن هذه الشدائد التي فيها تمحيص للمؤمنين ومحق للمنفقين ، وإظهار لما تخفيه صدرهم ولمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ؛ ولهذا أوصى الله تعالى عباده المؤمنين بالصبر والتقوى فهي السبيل لتجاوز هذه المحن والثبات على الدين الحق

(٢٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٨/١.

المطلب التاسع:
تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في الخفاء ونفي ذلك

هذه الصفة من صفات النفاق التي تبين ما تنطوي عليه قلوبهم من حقد، وحسد، وكفر، وتكذيب بالنبي **صلى الله عليه وسلم**، ولكن روغان المنافقين وتغير أحوالهم قد يظنون أنه في صالحهم وأنه قد يداري عنهم بعض ما يضمرون ولم يعلموا أن الله تعالى يكشف حالهم للآخرين، فكلما تغيرت حالتهم عرفوا بذلك، ولذلك لم يعذرهم النبي **صلى الله عليه وسلم** في غزوة تبوك، ومن ذلك ما رواه الواحدي في أسباب النزول، قال: "اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت، ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي **صلى الله عليه وسلم** وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس فحقروه، فتكلموا وقال: والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حقاً وإنكم لشر من الحمير، ثم أتى النبي **صلى الله عليه وسلم** فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا أن عامر كاذب، وحلف عامر أنهم كذبة وقال: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب، فنزلت (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) [التوبة: ٦١]، وقوله (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ) [التوبة : ٦٢][٢٣]، فهذه هي نواياهم وهذه هي نفوسهم الخبيثة لا يفوتون مجلساً يرون إنه مناسب لهم ذكر رسول الله وأصحابه بشر إلا فعلوا تحقيراً لهم وتحقيراً لرسالتهم التي آمنوا بها لكن الله كان لهم بالمرصاد وأنزل فيهم الآيات تلو الآيات تفضحهم على رؤوس الناس، وتتلى فيهم إلى قيام الساعة.

(٢٣) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٢٤٩-٢٥٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٢/٨-١٩٣.

المبحث الثاني
اليهود ومكائدهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

وفيه أربعة مباحث:

المطلب الأول: دعوة القرآن اليهود للإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: تآمر اليهود مع قبائل العرب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: طعن اليهود في صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: طلب اليهود بعض الآيات على صدقه وأنه مرسل.

المطلب الأول

دعوة القرآن اليهود للإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم

إن مما كان اليهود يعلمونه علم اليقين ويترقبون حصوله من وقت لآخر خروج ذلك النبي الذي تبشر به كتبهم التي بين أيديهم، التي تبين أوصافه ووقت مبعثه، ومكان مبعثه، ولذا فإن القرآن لما خاطبهم ودعاهم إلى الإيمان به دعاهم أولاً إلى الرجوع إلى كتبهم ومعرفة أوصافه لتي فيها وبذلك اختلف خطاب القرآن لهم ودعوتهم إلى الإيمان به عن كفار قريش، فاليهود هم أهل الكتاب يعرفونه كمعرفتهم أبنائهم كما ذكر ذلك القرآن (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٤٦]، وبذلك فإن القرآن قد دعاهم إلى اتباع هذا النبي الذي بشرت به كتبهم وأنبياءهم من قبل وعلوا صفته ونعوته وأمته ومهاجره، كما قال تعالى (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) [الصف: ٦]، قبل إن القرآن قد صرح بأن مبعثه وصفته كانت مكتوبة عندهم، قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [الأعراف: ١٥٧].

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** دخل على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: "أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟ فقال برأسه هكذا أي لا. فقال ابنه: أي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فقال: أقيموا اليهودي عن أخيكم ثم تولى كفنه والصلاة عليه"(٢٤)، ثم أن القرآن لما دعاهم إلى الإيمان به خوفهم من العذاب إن هم كذبوا فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ

(٢٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٦٢/٢، قال ابن كثير: إسناده جيد وله شاهد في الصحيح من حديث أنس.

أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً) [النساء: ٤٧]. ولعل من الأدلة الواضحة على أن أهل الكتاب يعرفون النبي وأنه مرسل قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وتنقله من أسقف إلى أسقف بحثاً عن الدين الحق ، حتى دل على مكان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته فذهب إلى المدينة يترقب خروجه يقول: ".. فو الله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي ، حتى إذا أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان: قاتل الله بني قيلة والله إنهم الآن لمجتمعون على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي ، قال سلمان فلما سمعتها انتفضت حتى ظننت أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي فكلمني كلمة شديدة ثم قال، مالك ولهذا؟ أقبل على عملك ، قال سلمان: وكان عندي شيئاً قد جمعته فلما أمسيت ذهبت به إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني إنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال فقربته إليه فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لأصحابه : كلوا وأمسك يده ، فقلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت فجمعت شيئاً وتحول رسول الله على المدينة ثم جئته به فقلت له: إني رأيتك لا تأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها. قال فأكل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي هاتان ثنتان، قال: ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه علي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي، فألقى ردائه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكي، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي"[٢٥].

وخلاصة القول أن اليهود كانوا يعرفون أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** صادق وأنه مرسل من ربه ولكنهم كفروا عناداً وحسداً، قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٨٩].

(٢٥) انظر القصة بطولها في سيرة ابن هشام ١/٢٤١-٢٤٩.

المطلب الثاني:
تآمر اليهود مع قبائل العرب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقدم في الفصل السابق ما وقع من تآمر اليهود مع قبائل العرب لاستئصال محمد وأتباعه من المدينة وذلك أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحيي بن أخطب النضري وكنانة بن أبي الحقيق النضري وهوذة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير وبني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله فيهم قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً{٥١} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً{٥٢} أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً{٥٣} أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً{٥٤} فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرا) [النساء: ٥١-٥٥].

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ذلك ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله فاجتمعوا لذلك واتعدوا .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله وأخبرهم أنهم سيكونون معهم علي وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه .

"فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدها عيينه بن حصن في بني فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعد بن رخيلة بن نويره بن طريف في من تبعهم من أشجع"(٢٦).

وأنزل الله في ذلك سورة الأحزاب ، تلك الآيات التي كشفت عن حقد تلك النفوس الخبيثة من يهود، على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه، فهذه هي طبيعة يهود، وهذه هي نفوسهم الخبيثة الدنيئة ، وفي هذه الغزوة – أي غزوة الأحزاب – مرت الدعوة الإسلامية بمرحلة حرجة فقد حاصره اليهود ومعهم

(٢٦) انظر: سيرة ابن هشام ١٦٦/٣-١٦٧، البداية والنهاية ٩٤/٤-٩٦.

المشركون من قبائل العرب حصاراً شديداً وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله: (إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) [الأحزاب: ١٠].

وفي هذه الغزوة ظهر جلياً خداع يهود ونقضهم للعهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين رسول الله: (وذلك أن عدو الله حيي بن أخطب خرج حتى أتى كعب بن أسد القرضي صاحب عقد بن قريضة وعهده – وكان قد وادع رسول الله على قومه وعاقده على ذلك وعاهد – فلما سمع كعب بحيي أغلق دونه باب حصنه فاستأذن علي فأبي أن يفتح له ، فناداه حيي: ويحك يا كعب افتح لي. قال: ويحك ياحيي إنك امرؤ مشؤم إني عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أرى منه إلا وفاءاً وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أكلمك قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك أن آكل معك منها، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه ، فقال: له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فإني لم أرى من محمد إلا صدقاً وفاءاً فلم يزل حيي بكعب حتى سمع له ونقض عهد رسول الله) [٢٧].

فهذه هي صفة النفس اليهودية الغادرة المحبة للطمع ولو تظاهرت بالوفاء لكن قد جبلت على الغدر والخيانة فلا تستطيع العيش بدون تلك الصفات لأنها محتاجة إليها .

فلما كشف الله الأحزاب وفرق جمعهم وكف الله بأسهم ورجع رسول الله فجاءه جبريل وقال له : (أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال نعم. فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم"[٢٨]، فأمر الرسول **صلى الله عليه وسلم** أصحابه فانطلقوا إلى بني قريظة وحاصروهم حتى أجهدهم الحصار ثم نزلوا على حكم رسول الله فحكم فيهم سعد بن معاذ **رضي الله عنه** فحكم فيهم بأن تقتل مقاتلهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم.

(٢٧) سيرة ابن هشام ١٧٢/٣-١٧٣، البداية والنهاية ١٠٤/٤.
(٢٨) سيرة ابن هشام ١٨٤/٣.

فجيء بهم لتضرب أعناقهم فبدأوا برؤوس القوم وفيهم عدو الله حيي بن أخطب الذي قال عندما قدمت عنقه لتضرب ويداه مجموعتان إلى عنقه فلما نظر إلى رسول الله قال –لعنة الله– "والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس لا بأس بأمر الله كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل)[٢٩].

والسؤال هنا: هل انتهى مكر اليهود بأهل الإسلام إلى هنا؟ إن اليهود لا يزالون يتربصون بالمسلمين الدوائر يحيكون لهم الدسائس والمؤامرات منذ بزغ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا ويحاولون بكل وسيلة يستطيعونها لا يفترون عن ذلك ولا يكلون فما يصيب المسلمين من محن ونكبات إلا ولليهود يد خفية في ذلك أو ظاهره، ولكن الله غالب على أمره وسيعلي كلمته ويظهر الحق ولو كره الكافرون.

(٢٩) سيرة ابن هشام ١٩١/٣.

المطلب الثالث
طعن اليهود في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سبقت الإشارة إلى أن اليهود كانوا موقنين في أنفسهم بصدق رسول الله وأنه مرسل من ربه، لكن نفوس اليهود الدنيئة الممتلئة بالحقد والحسد أبت على أصحابها إلا الكفر به وتكذيبه ولذا فلم يألوا جهداً في تكذيبه والاستهزاء به وبأصحابه وصد الناس عنه حسداً من عند أنفسهم، قال تعالى عنهم (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ١٠٩].

بهذه الروح الخبيثة قابل اليهود دعوة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ولقد تناول القرآن هذا الجانب من سيرة اليهود تجد ذلك في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً) [النساء: ٥١]، فهذه الآية بينت كفر يهود وعداوتهم لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** وكان سبب نزولها أن نفراً من اليهود ذهبوا إلى قريش فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله هذه الآية(٣٠).

وهكذا فإن عداوة اليهوود قد تنوعت من دعوتهم لقتال رسول الله إلى ذم دينه ومدح المشركين وما هم عليه من عبادة الأوثان فاليهود قوم بهت، فكم ذاق المسلمون ألواناً من الأذى والمكر والخديعة على يد يهود، وكم تربصوا بالمسلمين وحاولوا استئصال المؤمنين.

ومما يدل على محاولة يهود الطعن في صدق رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ما حديث في غزوة تبوك عندما ضلت ناقة رسول الله فاستغل اليهود ذلك الموقف فقال رجل منهم: يزعم محمد أن خبر السماء يأتيه وهو لا يدري أين ناقته، فقال رسول الله إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته وإني والله ما علمت إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى

(٣٠) سيرة ابن هشام ١٦٢/٤-١٦٣.

تأتوني بها فذهبوا فجاءوا بها[٣١].

فهذه محاولة لليهود لبث الفرقة في صفوف المسلمين وتكشيكهم في نبيهم.

ونختم الحديث بقصة إسلام عبدالله بن سلام حبر اليهود يقول بعدما أسلم: "وكتمت إسلامي عن يهود ثم جئت رسول الله وقلت يا رسول الله أن يهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغبيني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني، قال فأدخلني رسول الله في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم أي رجل فيكم الحصين ابن سلام[٣٢]؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا، قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة بإسمه وصفته فإني أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه، قالوا كذبت ثم واقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور"[٣٣].

(٣١) انظر:سيرة ابن هشام ١٦٢/٤-١٦٣.
(٣٢) هذا اسمه قبل إسلامه فلما أسلم غير رسول الله إسمه إلى عبدالله.
(٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه (في كتاب التفسير، باب قوله من كان عدوا لجبريل رقم ٤٢٨٠)، وانظر: سيرة ابن هشام ١٥٨/٢-١٥٩.

المطلب الرابع:
طلب اليهود بعض الآيات على صدقه صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل

إن اليهود يعلمون صدق رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ويعلمون أنه حق وأن ذلك موافق لما يجدونه في كتبهم وما يقرؤونه فيها، فيجدون وقته وصفته وأنه حق لكن حب الدنيا والحسد الذي امتلأت به قلوبهم منعهم من اتباعه، بل إنهم كانوا يعلمون المشركين بعض أخبار الأمم السابقة ليسألوا بها محمداً ويتعجزوه بها، كماقالوا لهم اسألوه عن فتيبة خرجوا في غابر الزمان وعن رجل طواف وعن الروح فأنزل الله تعالى سورة الكهف ترد عليهم وتبتكتهم فلما هاجر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إلى المدينة وكان اليهود من سكانها رأوا أن بقائه في المدينة سيؤثر على مكانتهم فيها، لأنهم أهل الكتاب ومرجع الناس، ثم إن حسدهم للعرب وأن النبوة لا تكون إلا فيهم، فهم يقولون إن الأنبياء في بني إسرائيل، وما هذه إلا قولة ليخرجوا من إلزام أنفسهم بالحق الذي في كتبهم.

وهنا تعرض لبعض مطالب يهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الأول: طلبهم أن يأتيهم بقربان تأكله النار ليكون ذلك دليلاً على صدقه، وقد حكى الله ذلك عنهم ووبخهم في طلبهم ذلك وأنهم لا يريدون به الوصول إلى الحق، قال تعالى: (الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [آل عمران: ١٨٣]، قال ابن الجوزي في تفسيره: "قال ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وجماعة من اليهود أتوا رسول الله فقالوا: إن الله عهد إلينا – أي أمرنا في التوراة – أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، ثم قال: وإنما طلبوا القربان لأنه كان من سنن الأنبياء السابقين وكان نزول النار علامة القبول"(٣٤)، لكن الله رد عليهم بما يسكتهم ويلجم أفواههم وبما يرد على سؤالهم ذلك فإن هذا الطلب ليس للوصول لى الحق لأنه لو كان كذلك فإن الأنبياء السابقين قد جاءوا بذلك ولكنن اليهود قتلوهم وكذبوهم.

الثاني: سؤالهم رسول الله أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، قال ابن كثير في

(٣٤) زاد المسير لابن الجوزي ٥١٦/١، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ١٣٤.

تفسيره[٣٥]: "أن اليهود سألوا رسول الله أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة، فرد عليهم القرآن رداً عنيفاً وبين أن مثل هذه الأمور لم تفعل معك يا محمد فقط، بل فعلت من قبل مع الأنبياء والسابقين فما هؤلاء اليهود إلا مقلدين لآباءهم وإن يكذبوك يا محمد فقد كذبوا من قبلك من الرسل، قال تعالى: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) [النساء: ١٥٣]، فسؤالهم لك يا محمد يهون ما سألوه موسى، لذلك فقد عاجلهم الله بالعقاب، قال تعالى: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) [النساء: ١٥٣].

فهذه بعض نماذج من تعنت يهود وتكبرهم على الحق وطغيانهم وحسدهم للمؤمنين وقد وقفوا لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأتباعه وحاولوا بكل ما أوتوا من قوة ومكر وخديعة أن يثنوه عن دعوته ويصدوا الناس عن اتباعه ولكن الله رد كيدهم في نحورهم فأظهر رسوله عليهم.

(٣٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨٦/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٦، أسباب النزول للواحدي ص ١٨٧.

المبحث الثالث
نهي القرآن المؤمنين عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر بالتزام الأدب معه

وفيه سبعة مطالبب:

المطلب الأول: آداب دخول بيوت النبي عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: وجوب التأدب مع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: حرمة نكاح أزواج رسول الله عليه الصلاة والسلام من بعده.

المطلب الرابع: معاتبة القرآن لأزواج الرسول عليه الصلاة والسلام اللاتي تظاهرن عليه.

المطلب الخامس: حث نسائه على التحلي ببعض الآداب.

المطلب السادس: النهي عن رفع الصوت عند رسول الله عليه الصلاة والسلام أو الجهر له بالقول.

المطلب السابع: الأمر بتقديم الصدقة عند مناجاة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول:
آداب دخول بيوت النبي عليه الصلاة والسلام

لقد أدب القرآن المؤمنين بآداب عظيمة وعلمهم عادات حميدة ومن ذلك الاستئذان عند دخول البيوت، قال تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ{٢٧} فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [النور: ٢٧-٢٨]. بمثل هذه الآداب أدب القرآن المؤمنين ولم يجعل دخول البيوت عشوائياً فلكل بيت حرمته فلا يجوز الدخول إليه بغير إذن أهله، لأن لهم الحق في الإذن وعدمه، فالبيوت ستر لمن فيها فوجب عدم الدخول إليها إلا بإذنهم، وهذه الآداب عامة للمؤمنين بها عند إرادتهم الدخول إلى بيوت رسول الله **صلى الله عليه وسلم**. ومن تلك الآداب :

الأول : أنه لا يجوز دخولها إلا بإذنه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ) [الأحزاب: ٥٣]، فبيوت النبي لها حرمة خاصة فلا تدخل إلا بإذنه وذلك للدعوة الى طعام ونحوه .

الثاني : أنهم إذا دعوا إلى طعام لا يأتون إلا عند نضجه يأكلون ثم يذهبون ولا يبكرون فينتظرون نضجه ثم يأكلون ويبقون يتحدثون فإن ذلك مِمَّ يؤذي النبي، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ) [الأحزاب: ٥٣] .

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: (بنى النبي **صلى الله عليه وسلم** بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت إلى الطعام داعياً فيجيء قوم يأكلون يخرجون ثم يجيء قوم يأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوا، فقلت يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه؟ قال أرفعوا طعامكم وبقي ثلا ثة رهط يتحدثون في البيت وخرج النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله فقالت : وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك؟ بارك الله لك، فتقرر حجر نساءه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن كما قالت عائشة ثم رجع النبي **صلى الله عليه وسلم** فإذا ثلاثة رهط يتحدثون وكان النبي شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا ، فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفه الباب

داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب)[٣٦] وهي قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً) [الأحزاب: ٥٣]. قال ابن حجر في الفتح: "ومحصل القصة أن الذين حضروا الوليمة جلسوا يتحدثون وإستحى النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يأمرهم بالخروج فتهيأ للقيام ليفطنوا لمراده فيقوموا بقيامه فلما ألهاهم الحديث عن ذلك قام وخرج فخرجوا بخروجه إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك لشدة شغل بالهم بما كانوا فيه من الحديث وفي غضون ذلك كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يريد أن يقوموا من غير مواجهتهم بالأمر بالخروج لشدة حيائه فيطل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نسائه ، وهم في شغل بالهم وكان أحدهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته فخرج وبقى الإثنان فلما طال ذلك ووصل النبي **صلى الله عليه وسلم** فرآهما فرجع فرأياه لما رجع فحينئذ فطنا فخرجا فدخل النبي **صلى الله عليه وسلم** فنزلت الآية"[٣٧].

بهذه الأداب أدب الله المؤمنين مع نبيهم، فجعل دخول بيوت النبي حرماً ولا يجوز دخولها الا عند الحاجة وذلك عند الإذن على جهة الأدب وحفظ الحضرة الكريمة من المباسطة المكروهة ثم ألزم الجميع التفرق بعد انقضاء المقصود .

(٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، حديث رقم ٤٧٩٣).

(٣٧) فتح الباري لابن حجر ج٨، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب ص ٣٩٠.

المطلب الثاني:
وجوب التأدب مع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين الله ذلك بقوله: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) [الأحزاب: ٥٣] ، فهذا أمر بالحجاب ولا يجوز لأحد الاطلاع على أزواج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من غير محرم ، أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن قال : قال عمر: (قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب)[٣٨].

إن البشر لا يأمن على نفسه الفتنة وإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فلذلك أمر الله أزواج نبيه با لحجاب وأن لا تكشف إلا على ذي محرم إلا عند الضرورة كسؤال الحاجة مما يمكن أن يطلب من المواعين وسائر المرافق للدنيا والدين [٣٩]، فإن ذلك يسأل ولكن من وراء حجاب وساتر متحشمة غير متبذلة في حديثها.

لأن ذلك أبعد للشبهة والريب، هذا عام مع جميع النساء ونساء النبي أشد في ذلك فهن أمهات المؤمنين وزوجات النبي فيجب التحلي معهن بهذه الآداب .

وأذِنَ لهن في الخروج لحاجتهن دفعاً للمشقة عليهن كما أخرج البخاري عن عائشة قالت: " خرجت سودة – بعد ما ضرب الحجاب – لحاجتها وكانت إمرأة جسيمة لا تخفي على من يعرفها فرآها عمر بن خطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قالت: فإنكفأت راجعة، ورسول الله في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عَرق فدخلت فقلت يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق ما وضعه فقال : إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن" [٤٠].

(٣٨) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، رقم ٤٧٩٠).
(٣٩) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٧/١٤.
(٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، سورة الأحزاب ح ٤٧٩٥).

المطلب الثالث:
حرمة نكاح أزواج رسول الله عليه الصلاة والسلام من بعده:

قرر الله تعالى هذا الحكم في نفس الآية السابقة بقوله (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً) [الأحزاب: ٥٣]، فحرم الله نكاح أزواج رسوله من بعده وهذا من خصائصه وشرفه وتنبيهاً على مرتبته العظيمة ، روى عن الشافعي قوله : إن من استحل نكاح أزواج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من بعده فهو كافر لهذه الآية.

وقيل: إن المنع من الزواج بهن بعد موته لأنهن أزواجه في الجنة وقد روى أن هذه الآية نزلت في رجل قال: لو توفي رسول لتزوجت عائشة، قال مقاتل: وهو طلحة بن عبيد الله ، لكن القرطبي t نفى ذلك في تفسيره وقال: لا يصح ذلك عن صحابي جليل كطلحة وإنما يصح ذلك عن المنافقين الجهال، فيروى أن رجلاً من المنافقين قال حين تزوج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أم سلمة بعد أبي سلمة وحصة بعد خنيس بن حذافة: ما بال محمد يتزوج نساءنا ؟ والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه فنزلت الآية) [٤١]، فمراعاة لمكانة رسول الله وأزواجه حرم الله ذلك .

أما أزواجه اللاتي فارقهن في حياته مثل الكلبية وغيرها فالصحيح جواز نكاحها لما روي أن الكلبية التي فارقها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** تزوجها عكرمة بن أبي جهل وقيل غيره ولم يمنع ذلك أحد فدل ذلك على إنه إجتماع .

(٤١) انظر:الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٩/١٤.

المطلب الرابع:
معاتبة القرآن لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي تظاهرن عليه

أنزل الله في ذلك صدر سورة التحريم، وعاتب أزواجه على ذلك فقال:(إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) [التحريم: ٤].

وقد اختلف في سبب نزولها، فروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: (إن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما فقالت له ذلم فقال لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت سورة التحريم)(٤٢).

وروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: (كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي **صلى الله عليه وسلم** فذهبت حفصة إلى أبيها فتحدثت عنده فأرسل النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى جاريته فظلت معه في بيت حفصة وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها وغارت غيرة شديدة فأخرج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** جاريته ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك والله لقد سؤتني فقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: (والله لأرضينك فإني مسر إليك سراً فاحفظيه، قالت ما هو؟ قال إني أشهدك أن سريتي هذه عليّ حرام رضا لك، وكانت حفصة وعائشة تظاهرتا على نساء النبي **صلى الله عليه وسلم** فانطلقت حفصة إلى عائشة فأسرت إليها أن أبشري إن النبي قد حرم عليه فتاته فلما أخبرت بسر النبي **صلى الله عليه وسلم** أظهر الله عز وجل النبي عليه فأنزل الله في ذلك صدر سورة التحريم(٤٣).

وأياً كان تحريم النبي على نفسه العسل لا يشربه أو الجارية لا يقربها وذلك ابتغاء مرضاة أزواجه فإن الصواب من القول أن يقال: كان الذي حرمه على نفسه قد

---

(٤٢) أخرجه البخاري (كتاب الطلاق، باب: ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ، حديث رقم ٥٢٦٧، وفي كتاب التفسير، باب تفسير سورة التحريم)، وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم زوجته ولم ينو الطلاق).

(٤٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤٨/١٢، تفسير سورة التحريم.

أحله الله له وجائز أن يكون ذلك جاريته وجائز أن يكون ذلك شراباً من الأشربة وجائز أن يكون غير ذلك غير أنه أي ذلك كان فإنه كان تحريماً لشيء حلال فعاتبه الله على ذلك وهذا ما جمع به ابن جرير تلك الروايات ولم يرجح إحدهما على الأخرى(٤٤)، وقد رجح القاسمي في تفسيره رواية تحريم الجارية وأنها سبب نزول الآية(٤٥).

الشاهد من كل ذلك هو تظاهر أزواجه عليه وقد أخرج البخاري عن ابن عباس c قال: (مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجاً فخرجت معه فلما رجعت وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي **صلى الله عليه وسلم** من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة ... الحديث)(٤٦).

والشاهد من هذه القصة هو تظاهر أزواجه على جبره على كره ما يحب وتحريم ذ لم عليه وفي ذلك مشقة عليه كما روى أنس عن عمر بن الخطاب قال: (بلغني عن أمهات المؤمنين شدة على رسول الله وأذاهن إياه فاستقريتهن امرأة امرأة أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله وأقول: إن أبيتن أبدله الله خيراً منكن حتى أتيت حسبت أنه قال على زينب، فقالت يا ابن الخطاب: أما في رسول الله من يعظ نسائه حتى تعظهن أنت؟ فأمسكت فأنزل الله قوله: (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً) [التحريم:٥](٤٧).

فرتب الله على فعل أزواجه ذلك وعدم توبتهن أن جعل الله نفسه وجبريل وصالح المؤمنين وملائكته كلهم مدافعون عن رسوله الكريم وختم الكلام بالملائكة لأنها أعظم المخلوقات وأكثرهم قوة فهل يطقن أزواجه ذلك وهل يستطعن الصبر على مقاومة كل هؤلاء.

ويظهر من هذه القصة أن الله تولى الدفاع عن رسوله وذلك في أمر يسير قد يكون

(٤٤) تفسير ابن جرير ١٢/١٥٠.
(٤٥) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ١٦/٢١٥.
(٤٦) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، تفسير سورة التحريم، باب قوله: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، حديث رقم ٤٩١٣).
(٤٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٢/١٥٥، تفسير سورة التحريم.

في غيره من الناس –لمن له زوجات– أمراً عادياً، ولكن لما كانت مكانة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وشرف منلزته تختلف عن بقية الناس فقد تولى القرآن الدفاع عنه وبيان أن هذا العمل وإن كان يسيراً في عرف الناس فهو على رسول الله أمر عظيم ولذلك قال بعد ذلك: (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً) [التحريم: ٥].

المطلب الخامس:
حث نسائه على التحلي ببعض الآداب

لقد جعل القرآن أزواج النبي **صلى الله عليه وسلم** في منزلة عظيمة فوصفهن بأنهن أمهات المؤمنين وهذا الوصف له متطلبات عظيمة وليس مجرد وصف يطلق بل لابد من تحقق تلك المتطلبات ولذا فقد خاطب القرآن أزواج رسوله وأمرهن بأوامر عظيمة، وما ذلك إلا لأنهن في بيت النبوة ومهبط الوحي وفي هذا المبحث نعرض لبعض تلك الأوامر والآداب التي أمرهن الله أن يتحلين بها:

الأول: أن الله خيرهن بين متاع الدنيا وبين الله ورسوله والدار الآخرة:

إن نساء النبي بشر كسائر البشر لهن رغبات في هذه الدنيا ولكن الله يريد تربيتهن تربية إيمانية لأنهن في بيت النبوة، ولذا فقد سألته الزيادة في التفقه كسائر النساء اللاتي يسألن أزواجهن من متاع الدنيا فأمر الله رسوله أن يخير أزواجه بين متاع الدنيا وبين الله ورسوله والدار الآخرة، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً{٢٨} وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً) [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

أخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن جابر بن عبدالله **رضي الله عنه** قال: (دخل أبو بكر يستأذن رسول الله فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم فأذن لأبي بكر فدخل، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، قال: فقال: والله لأقولن شيئاً أضحك رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني التفقه فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وقال: هن حولي كما ترى يسألنني التفقه، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها وكلاهما يقول: تسألن رسول الله ما ليس عنده؟ فقلن والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين يوماً ثم نزلت:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ...) الآيات، فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليم أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك ،فقالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلى عليها الآية قالت: أفيك أستشير أبوي، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة"[٤٨]، بهذه الآداب أدب الله أزواج نبيه الذي خير بين أن يكون عبداً

(٤٨) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير المرأة لا يكون طلاقاً إلا ببينة).

نبياً مسكيناً وبين الدنيا وكنوزها فاختار الأولى وهو **صلى الله عليه وسلم** الذي يمر عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وعلى أزواجه أن يتربين بتلك الآداب حتى يحصل لهن الأجر العظيم الذي وعدهن الله به.

الثاني: حثهن على البعد عن الفواحش:

إن نساء النبي صلى الله عليه وسلم لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة وجب لزاماً عليهن أن يطعن الله في أوامره فأمرهن بالبعد عن الفواحش وتوعد من جاءت بفاحشة مبينة بالعذاب الأليم المضاعف وذلك لشرف منزلتهن وكون عملهن ذلك مما يؤذي النبي، قال تعالى:(يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) [الأحزاب: ٣٠]، ثم حثهن بعد ذلك على الطهر والعفاف –وهن محل ذلك– والعمل الصالح ورتب على ذلك الأجر العظيم، قال تعالى: وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً [الأحزاب: ٣١].

الثالث: عدم الخضوع في القول:

وهذا الأدب أيضاً من جملة الآداب التي طلب الله من أزواج نبيه أن يتحلين بها فقال تعالى: (يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً) [الأحزاب: ٣٢]، فالمرأة مأمورة بالحشمة والتستر ولا سيما عند مخاطبة الأجنبي فيجب عليها الغلظة في القول من غير رفع صوت وأن لا تخضع في كلامها فيكون ذلك محركاً لشهوة أصحاب القلوب المريضة . وهذا الأدب شامل لنساء النبي وغيرهن من المسلمات ، لكن الله خص نساء النبي بهذا الخطاب لشرف مقام النبوة ولأنهن محط الأنظار ولأن إخلال إحداهن بشيء من ذلك طعن في النبي **صلى الله عليه وسلم**.

الرابع : الأمر بالقرار في البيوت وإطاعة أوامر الله ورسوله :

يقول القرطبي في تفسيره: ".. فأمر الله نساء النبي **صلى الله عليه وسلم** بملازمة بيوتهن وخاطبهن بذلك تشريفاً لهن ونهاهن عن التبرج والسفور وأعلم أنه فعل الجاهلية الأولى قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب: ٣٣]، فبيت المرأة هو مكانها وهو روحها الذي تجد فيه نفسها وتستطيع أن تربي فيه الناشئة تربية إسلامية حقة وتخرج أجيالاً يقودون الأمة إلى النصر والعزة والمنعة .

ثم أمرهن الله بعد بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الأوامر والأمربالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله ورسوله فقال: (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [الأحزاب: ٣٣].

قال ابن كثير: "نهاهن أولاً عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين"(٤٩).

(٤٩) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٩١/٣.

المطلب السادس:
النهي عن رفع الصوت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا ادب عظيم أدب الله به المؤمنين وأمرهم الالتزام به وما ذلك إلا تعظمياً له وتوقيراً لمقام النبوة فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) [الحجرات: ٢]، فخاطبهم بنداء المؤمنين تشريفاً وتكريماً لهم.

روى البخاري عن أبي مليكه قال: "كاد الخيران أن يهلكا، أبا بكر وعمر c رفعا أصواتهما عند النبي حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع ابن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ أسمه فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ... الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر"(٥٠).

وروى البخاري أيضاً عن أنس بن مالك أن النبي **صلى الله عليه وسلم** افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه فقال له: ما شأنك؟ فقال شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي فقد حبط عمله وهو من أهل النار فأتى الرجل النبي فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى فرجع إليه المرة الأخيرة ببشارة عظيمة فقال اذهب إليه فقل له إنك ليست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة)(٥١).

قال ابن حجر في الفتح في سبب نزول الآية: "ولا مانع أن تنزل الآية لأسباب تتقدمها فلا يعدل للترجيح مع ظهور الجمع وصحة الطرق ولعل البخاري استشعر ذلك فأورد قصة ثابت بن قيس عقب هذا ليبين ما أشرت إليه من الجمع"(٥٢).

وسواء نزلت الآية لأي السببين فالمراد منها العظة والاعتبار وتوقير رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وتعظيم شأنه فلا يرفع الصوت عنده ولا يخاطب كما يخاطب الناس بعضهم بعضاً بل هناك آداب أدب القرآن من أراد مخاطبة الرسول الكريم.

---

(٥٠) رواه البخاري (كتاب التفسير، سورة الحجرات رقم ٤٨٤٥).

(٥١) رواه البخاري (كتاب التفسير ، سورة الحجرات، باب : **لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، حديث رقم ٤٨٤٦).**

(٥٢) انظر:فتح الباري ٤٥٦/٨

ثم إن من يحضر مجلس الملك أو الأمير فمن الأدب المتعارف عليه عند الناس أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال رفع الصوت بحضرته بل ليس له الكلام إلا بعد أن يستأذن مرات عديدة، فكيف بمن هو أعظم منزلة عند الله من الملوك، ومن خلال هذه القصة يظهر جلياً شدة تواضع أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وسرعة امتثالهم لأوامر الله ورسوله.

المطلب السابع:
الأمر بتقديم الصدقة عند مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا الحكم مما نسخ حكماً وبقي تلاوة قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{١٢} أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المجادلة: ١٢-١٣].

أخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أما ترى دينارًا؟ قلت: لا يطيقونهُ قال: فكم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: إنك لزهيد، فنزلت: "أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات" قال علي رضي الله تعالى عنه: فبي قد خفف الله عن هذه الأمة(٥٣) .

قال ابن العربي: وهذا يدل على نسخ العبادة قبل فعلها **وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ** وَسَلَّمَ لَا يَمْنَعُ أَحَدًا مُنَاجَاتَهُ .

يُرِيدُ لَا يَسْأَلُهُ حَاجَةً إلَّا نَاجَاهُ بِهَا مِنْ شَرِيفٍ أَوْ دَنِيءٍ ؛ فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَأْتِيهِ فَيُنَاجِيهِ ، كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَوْ لَمْ تَكُنْ ، وَكَانَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا حَرْبًا عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ حَوْلَهُ .

فَيَقُولُ لَهُ : أَتَدْرُونَ لِمَ نَاجَى فُلَانٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ إنَّمَا نَاجَاهُ ؛ لِأَنَّ جُمُوعًا [كَثِيرَةً] مِنْ بَنِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ قَدْ خَرَجُوا لِيُقَاتِلُوكُمْ .قَالَ : فَيُحْزِنُ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ .

وَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : إنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ سَمَّاعَةٌ يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ يُنَاجِيهِ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ } التوبة :٦١ .

وَقَالَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى } المجادلة:٩ فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الْمُنَاجَاةِ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ } لِيَنْتَهِيَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَنْ مُنَاجَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٥٤).

---

(٥٣) أخرجه الترمذي كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة ١٣٦/٩بشرح تحفة الأحوذي، وقال: حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه

(٥٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢٠١/٤

لكن الأمر أعظم وذلك لعظم مقام النبي **صلى الله عليه وسلم** فأمر المؤمنين إذا أرادوا مناجاة النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يقدم صدقة وذلك تزكية وتطهيراً له ليناجي رسول الله.

مما سبق يتبين أن هذه الآية نسخت بالآية بعدها **{** أأشفقتم أن تقدموا..**}** وهو مما نسخ قبل التمكن من العمل به .(٥٥)

وهذا مما خص الله به رسوله دون سائر البشر وذلك تعظيماً لمقام النبوة وتشريفاً وتكريماً له.

ثم إن فيه امتحاناً للمؤمنين الذين لم يتذمروا من ذلك الأمر واستفسروا عنه بل بادروا بالامتثال لذلك مع أنه فيه بعض المشقة عليهم ولكن حبهم لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** وحبهم للتسابق إلى الخيرات جعلهم يتمثلون ذلك الأمر وهذا يدل عليه مبادرة علي بن أبي طالب **رضي الله عنه** للعمل بهذه الآية، لكن الله خفف عن عباده بأن نسخ هذا الحكم بقوله (أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

والإشفاق: الفزع من العجز عن الشيء المتصدق به ، أو من ذهاب المال في الصدقة.

قال ابن عباس: "وذلك أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف على نبيه ويثبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقةً على المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم"(٥٦) .

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئًا وأما أهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة (٥٧)

---

(٥٥) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢٣٣، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب ٤٢٦

(٥٦) عزاه السيوطي في الدر النثور ٣٢٤/١٤ لابن المنذر وابن أبي حاتم، وانظر: معالم التنزيل للبغوي ٦٠/٨

(٥٧) انظر: الدر المنثور ٣٢٦/١٤

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً مبارك فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورصسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

وفي نهاية هذا البحث نجد أن أهم نتائجه ما يلي:

الأول: أن الابتلاء سنة من سنن الله في هذه الحياة وذلك ليعلم الصادق من المنافق.

الثاني: أن الله لا يخذل عباده المؤمنين ولو ظهر لهم أنهم قد هضموا ولكن نصر الله قريب وسيظهر الله أمره ويعلي كلمته.

الثالث: أن أساليب الطغاة في دفع الحق تتنوع وتختلف بحسب الزمان وطبيعة القوم ولكن الهدف والمقصد واحد وهو محاربة الخير ودفع الحق.

الرابع: فضل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ذلك في صبره على قومه وتحمله الإساءة منهم لأنه يريد الخير لهم.

الخامس: عظم هذا القرآن الذي هو معجزة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وذلك بما تضمنه من آيات عظيمة وعبر نافعة تضيء قلب المؤمن وتطرد البأس من قلبه.

السادس: أن ما تمر به الأمة الإسلامية في العصر الحاضر من مكر وخديعة وتربص الأعداء لا يعدو أن يكون أسلوباً من أساليب الطغاة في دفع الحق والوقوف في طريقه وصد الناس عن السير في ذلك الطريق هي محاولة قديمة حاولها من قبلهم من الطغاة ولكن لم تتحقق أمانيهم ورد الله كيدهم في نحورهم وهي العاقبة التي ستكون لهم.

هذه هي أهم نتائج البحث ولعل القارئ أن يجد غيرها من الفوائد التي تضمنها البحث.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله عز وجل أن يكون خالصاً لوجهه الكريم وأن يثقل به الموازين.

وهو عمل بشري لا يخلو من السهو والخطأ، فمن وجد من ذلك شيئاً فلا يبخل بالنصح والإرشاد، والله تعالى أعلى وأعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ، مراجعة وتعليق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية –بيروت ١٤١٦هـ
٢- أسباب النزول لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتدقيق عصام عبدالمحسن الحميدان، نشر دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، طبعة ١٤١٣هـ.
٤- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، نشر دار المنارة بجدة.
٥- البداية والنهاية للحافظ أبو الفداء ابن كثير، تدقيق "مجموعة من العلماء"، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
٦- بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، للدكتور صابر طعيمة، نشر دار الجيل، بيروت.
٧- الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن، ترتيب وتفسير محمد زكي صالح، نشر دار الكتب العلمية، بغداد، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
٨- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلاء محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، نشر دار الكتب العلمية- بيروت
٩- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
١٠- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١١- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية .
١٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ، نشر دار هجر بالقاهرة.
١٣- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، نشر المكتب

الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
١٤- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة والعشرين.
١٥- السيرة النبوية لابن هشام، علق عليها وخرج أحاديثها د/ عمر عبدالسلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ.
١٦- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، للدكتور مهدي رزق الله، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٧- السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، نشر دار المعرفة –بيروت ١٣٩٦هـ
١٨- صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الولى ١٤١٢هـ.
١٩- صحيح مسلم بشرح النووي، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، ط .....
٢٠- طبقات المفسرين للداوودي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٢١- طبقات المفسرين للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
٢٢- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لمحمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس، نشر مؤسسة عز الدين للطباعة – بيروت ١٤٠٦هـ
٢٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد علي بن حجر العسقلاني، ترقيم وترتيب ومراجعة محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
٢٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشيخ محمد بن علي الشوكاني، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ.
٢٥- لباب النقول في أسباب النزول للحافظ جلال الدين السيوطي، نشر دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ.
٢٦- محاسن التأويل للشيخ جمال الدين القاسمي، تخريج وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٢٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت .
٢٨- المدخل لدراسة القرآن الكريم للشيخ محمد أبو شهبة، نشر مكتبة المؤيد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية .
٢٩- معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد النمر وآخرون، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ، نشر دار الكتب العلمية- بيروت
٣٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
٣١- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٣٢- مفرد ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، نشر دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق "جمع من العلماء" نشر دا الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٤- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل النحاس ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــــوع الصفحة

المقدمة.. ٢
التمهيد.. ٥....
المطلب الأول: الحكمة من إرسال الرسل عامة ٥
المطلب الثاني : الحكمة من كون الرسول من جنس المرسل إليهم ٨
المبحـــث الأول :مكائـــدد المنـــافقين للنبـــي صـــلى الله عليـــه وســـلم ١١
المطلـــب الأول: غـــزوة الخنـــدق ومحاولـــة المنـــافقين زعزعـــة الصـــفوف السلمين.............١٢
المطلـــــب الثـــــاني: حادثـــــة الإفـــــك وتـــــرويج المنـــــافقين لها.......................................١٤
المطلـــب الثالـــث: رفـــض التحـــاكم إلى رســـول الله عليـــه الصـــلاة والسلام..................١٧
المطلـب الرابـع: محاولـة المنـافقين قتـل الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم في غـزوة تبوك.......١٩
المطلـــب الخـــامس: وصـــفهم النـــبي صـــلى الله عليـــه وســـلم بأنـــه أذن.........................٢٠
المطلـب السـادس: وصـفهم النـبي صـلى الله عليـه وسـلم بالذلـة وأنهـم هـم الأعزة.........٢١
المطلـــــب الســـــابع: قـــــولهم بأنـــــه لا يعـــــدل في قســـــم الصدقات...............................٢٣
المطلـــب الثـــامن: فـــرحهم لمصـــاب رســـول الله وحـــزنهم لظفـــره ونصره....................٢٥
المطلـب التاسـع: تكـذيب النـبي صـلى الله عليـه وسـلم في الخفـاء ونفـي ذلك............٢٧

المبحث الثاني: اليهود ومكائدهم للرسول صلى الله عليه وسلم.....٢٨
المطلب الأول: دعوة القرآن اليهود للإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم.....٢٩
المطلب الثاني: تآمر اليهود مع قبائل العرب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم.....٣١
المطلب الثالث طعن اليهود في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.....٣٤
المطلب الرابع: طلب اليهود بعض الآيات على صدقه صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل.....
٣٦..
الفصل الثالث: نهي القرآن المؤمنين عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر بالتزام الأدب معه.....٣٨
المطلب الأول: آداب دخول بيوت النبي عليه الصلاة والسلام.....٣٩
المطلب الثاني: وجوب التأدب مع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم.....٤١
المطلب الثالث: حرمة نكاح أزواج رسول الله عليه الصلاة والسلام من بعده ٤٢
المطلب الرابع: معاتبة القرآن لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي تظاهرن عليه.....
٤٣.....
المطلب الخامس: حث نسائه على التحلي ببعض الآداب.....٤٦
المطلب السادس: النهي عن رفع الصوت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.....٤٩
المطلب السابع: أمر القرآن المؤمنين بتقديم الصدقة عند مناجاة رسول الله صلى الله عليه

وسلم..... ٥١
الخاتمة..... ٥٤
فهرس المصادر والمراجع..... ٥٦
فهرس الموضوعات..... ٦٠